

مختصر ابن كثير

213 - كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قال ابن جرير : عن ابن عباس قال : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله { كان الناس أمة واحدة فاختلفوا } قال قتادة في قوله : { كان الناس أمة واحدة } قال : كانوا على الهدى جميعا { فاختلفوا فبعث الله النبيين } فكان أول من بعث نوحا . وقال العوفي عن ابن عباس : { كان الناس أمة واحدة } يقول : كانوا كفارا { فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين } والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ولهذا قال تعالى : { وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم } أي من بعد ما قامت الحجج عليهم وما حملهم على ذلك إلى البغي من بعضهم على بعض { فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم } وعن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " نحن الآخرون الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع فعدا لليهود وبعد غد للنصارى " .

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله : { فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه } فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد فهدى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليوم الجمعة . واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى المشرق واليهود بيت المقدس فهدى الله أمة محمد للقبلة . واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع ومنهم من يصلي وهو يتكلم ومنهم من يصلي وهو يمشي فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك واختلفوا في الصيام فمنهم من يصوم بعض النهار ومنهم من يصوم عن بعض الطعام فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك واختلفوا في إبراهيم عليه السلام فقالت اليهود : كان يهوديا وقالت النصارى : كان نصرانيا وجعله الله حنيفا مسلما فهدى

اﻟﺄﻣﺔ ﻣﺤﻤﺪ ﻟﻠﺤﻖ ﻣﻦ ﺫﻟﻚ ﻭﺍﺧﺘﻠﻔﻮﺍ ﻓﻲ ﻋﻴﺴﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﻓﻜﺬﺑﺖ ﺑﻪ ﺍﻟﻴﻬﻮﺩ ﻭﻗﺎﻟﻮﺍ ﻟﺄﻣﻪ
ﺑﻬﺘﺎﻧﺎ ﻋﺰﻳﻤﺎ ﻭﺟﻌﻠﺘﻪ ﺍﻟﻨﺼﺎﺭﻯ ﺇﻟﻬﺎ ﻭﻭﻟﺪﺍ ﻭﺟﻌﻠﻪ ﺍﻟﺮﻭﺡ ﻭﻛﻠﻤﺘﻪ ﻓﻬﺪﻯ ﺍﻟﺄﻣﺔ ﻣﺤﻤﺪ ﺼﻠﻰ
ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻟﻠﺤﻖ ﻣﻦ ﺫﻟﻚ . ﻭﻛﺎﻥ ﺃﺑﻮ ﺍﻟﻌﺎﻟﻴﻪ ﻳﻘﻮﻝ : ﻓﻲ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ ﺍﻟﻤﺨﺮﺝ ﻣﻦ ﺍﻟﺸﺒﻬﺎﺕ
ﻭﺍﻟﺰﻻﻻﺕ ﻭﺍﻟﻔﺘﻦ .

ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﺑﺎﺫﻧﻪ } ﺃﻱ ﺑﻌﻠﻤﻪ ﺑﻬﻢ ﻭﺑﻤﺎ ﻫﺪﺍﻫﻢ ﻟﻪ ﻗﺎﻟﻪ ﺍﺑﻦ ﺟﺮﻳﺮ { ﻭﺍﻟﺄﻣﺔ ﻳﻬﺪﻯ ﻣﻦ
ﻳﺸﺎﺀ } ﺃﻱ ﻣﻦ ﺧﻠﻘﻪ { ﺇﻟﻰ ﺻﺮﺍﻁ ﻣﺴﺘﻘﻴﻢ } ﺃﻱ ﻭﻟﻪ ﺍﻟﺤﻜﻤﻪ ﻭﺍﻟﺤﺠﻪ ﺍﻟﺒﺎﻟﻐﻪ ﻭﻓﻲ ﺻﺤﻴﺢ ﺍﻟﺒﺨﺎﺭﻯ
ﻭﻣﺴﻠﻢ ﻋﻦ ﻋﺎﺋﺸﻪ ﺃﻥ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺼﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻛﺎﻥ ﺇﺫﺍ ﻗﺎﻡ ﻣﻦ ﺍﻟﻠﻴﻞ ﻳﺼﻠﻰ ﻳﻘﻮﻝ : " ﺍﻟﻠﻪﻡ
ﺭﺏ ﺟﺒﺮﻳﻞ ﻭﻣﻴﻜﺎﺋﻴﻞ ﻭﺇﺳﺮﺍﻓﻴﻞ ﻓﺎﻃﺮ ﺍﻟﺴﻤﺎﻭﺍﺕ ﻭﺍﻟﺄﺭﺽ ﻋﺎﻟﻢ ﺍﻟﻐﻴﺐ ﻭﺍﻟﺸﻬﺎﺩﻩ ﺃﻧﺖ ﺗﺤﻜﻢ ﺑﻴﻦ
ﻋﺒﺎﺩﻙ ﻓﻴﻤﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻓﻴﻪ ﻳﺨﺘﻠﻔﻮﻥ ﺍﻫﺪﻧﻲ ﻟﻤﺎ ﺍﺧﺘﻠﻒ ﻓﻴﻪ ﻣﻦ ﺍﻟﺤﻖ ﺑﺎﺫﻧﻚ ﺇﻧﻚ ﺗﻬﺪﻯ ﻣﻦ ﺗﺸﺎﺀ ﺇﻟﻰ
ﺻﺮﺍﻁ ﻣﺴﺘﻘﻴﻢ " ﻭﻓﻲ ﺍﻟﺪﻋﺎﺀ ﺍﻟﻤﺄﺗﻮﺭ : " ﺍﻟﻠﻪﻡ ﺃﺭﻧﺎ ﺍﻟﺤﻖ ﺣﻘﺎ ﻭﺍﺭﺯﻗﻨﺎ ﺍﺗﺒﺎﻋﻪ ﻭﺃﺭﻧﺎ
ﺍﻟﺒﺎﻁﻞ ﺑﺎﻁﻼ ﻭﺃﺭﺯﻗﻨﺎ ﺍﺟﺘﻨﺎﺑﻪ ﻭﻻ ﺗﺠﻌﻠﻪ ﻣﻠﺘﺒﺴﺎ ﻋﻠﻴﻨﺎ ﻓﻨﻀﻞ ﻭﺍﺟﻌﻠﻨﺎ ﻟﻠﻤﺘﻘﻴﻦ ﺇﻣﺎﻣﺎ " .